

مول كنب الوفيات :

عود علي بدء

للأستاذ أحمد الشرباصي

كنت قد نهيت أخي الأديب الأستاذ وديع فلسطين على صفحات مجلة « الرسالة » التراء إلى أن كتاب « وفيات الأعيان » ليس كما يظن ويقول - كتاباً مقصوداً على ذكر وفيات المشهورين من الرجال ، بل هو كتاب تاريخ جامع ، فيه أخبار وأشعار ، وحوادث وقصص ؛ ولما نشرت هذه الكلمة لقيني أخي الأستاذ علي محمد حسن المدرس بالأزهر الشريف فحدثني عن هذه الكلمة ، ثم ذكر لي أنه سمع بأن هناك كتاباً اسمه « وفيات الأعيان » غير كتاب ابن خلكان ، وقد اقتصر صاحبه على ذكر وفيات من عرف من الرجال ، وأن هذا الكتاب موجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة ... !

شغلني هذا الموضوع ، فمجلت بالذهاب إلى الدار ، وأخذت أراجع فهارس كتبها المخطوطة والطبوعة لأستبينها عما فيها من كتب تسمى بالإهم المذكور أو تقاربه ؛ فوجدت فيها كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، وهو أشهر من أن يعرف ؛ ووجدت فيها كتاب « فوات الوفيات » لعمد بن شاكر بن أحمد الكتبي التوفي سنة ٧٦٤ هـ ؛ وهو كتاب متوسط ، يقع في مجلدين ، مطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق ، في عهد الخديوي إسماعيل باشا سنة ١٢٨٣ هـ ؛ وأنهز هذه الفرصة لأقول إن هذه الطبعة مملوءة بالتحريفات والتصحيقات والأخطاء المطبعية مما تقضى منه العين ، ويضج له المطالع ، على الرغم من أن الطابع أجسى في أول كل مجلد منهما جانباً كبيراً جداً من الأخطاء والنلطات المهمات ، وترك الباقي لفتنة القارىء الأديب اللبيب كما يقول ... ! (١)

وكتاب الوفيات للكتبي يعتبر كتديليل أو تميم لوفيات ابن خلكان ؛ وقد أوجز المؤلف عمله في كتابه ، ومجهوده في

(١) انظر التمدد ٦٨١ .

(٢) الأمن طبعة حديثة مصححة لذلك كتاب الخليل .

مؤلفه في المقدمة الطويلة التي قال فيها بمد البسمة والمجدة والصلاة على الرسول والآل :

« وبعد ، فإن علم التاريخ مرآة الزمان لمن تدبر ، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب الأمم من أمنن النظر وتفكر ، وكنت ممن أكثر لكتبه الطالعة ، واستجلى من فوائده المراجعة ، فلما وقعت على كتاب (وفيات الأعيان) لقاضي القضاة ابن خلكان قدس الله روحه - وجدته من أحسنها وضماً ، لما اشتمل عليه من الفوائد النيرة ، والمحاسن الكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، وروايته قد أدخل بتراجم فضلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك ذهول عنهم ، أم لم يقع له ترجمة أحد منهم ، فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكره من الأئمة الخلفاء والسادة الفضلاء ، وأذيل من وقته إلى الآن ، فاستخرت الله تعالى ، فانتسرح لذلك صندري وتوكلت عليه وفوضت إليه أمرى ، وسميته بـ « فوات الوفيات » ؛ والله تعالى المستول أن يوفق في القول والعمل ، وأن يتجاوز عن هفوات الخطأ والزلل . »

ثم أخذت أقلب بين يدي صفحات « الفوات » فإذا أنا أقع في نهايته على نص مهم لمصححه الشيخ نصر أبو الوفا الهوريني ، إذ أن هذا النص قد تحدث عن كثير من الكتب التي ألفت في الوفيات كتديليل لكتب سابقة أو تملين على مؤلفات متقدمة ، وقد كفاني هذا النص مثونة البحث والتنقيب عما تحدث عنه من كتب ؛ قال :

« واعلم أن الوفيات قد اشتمل على ٨٤٦ ترجمة ، وذيل عليه عبد الباقي الخزوي الكي التوفي سنة ٨٤٣ ؛ كما تقدم في هذا الكتاب ؛ بنحو ثلاثين ترجمة ؛ وكذا ذيل حسن بن أيبك التوفي بالتاريخ المذكور ؛ وذيل عليه عبد الباقي الشيخ زين الدين عبد الرحيم العراقي التوفي سنة ٨٠٦ ؛ وأما هذا الفوات فإنه اشتمل على ٥٧٢ ترجمة ، منها نحو ست تراجم أو سبعة مذكورة في الوفيات فليست من الفوات كما يعرفه من استقصى فهارس الكتاتين ؛ وأما كتاب الواقي بالوفيات لصالح الدين الصفدي التي أنتهى فيه إلى آخره سنة ٧٦٠ قبل وقته بأربع سنين فإنى كنت أتوم أنه ذيل آخر للوفيات غير موجود بمصر ، حتى كتبت ذلك ببعض الهوامش بناء على هذا التوم ، إلى أن رأيت

في كشف الظنون أنه كتاب حافل جمع فيه تراجم الأعيان ونجباء الزمان ، ممن وقع عليه اختياره ، فلم يفاد أحداً من أعيان الصحابة والتابعين والملوك والأسراء والقضاة والمهال والقراء والمحدثين والفقهاء والشايخ والأولياء والصلحاء والنحاة والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء وأصحاب الملل والنحل والبدع والآراء وأعيان كل فن ممن اشتهر أو أنفن إلا ذكره ؛ إلى أن قال في (الكشف) : فإزداد النفع به للمحدث والأديب « ! .

وظاهر من عبارة الشيخ نصر المهوريني أن هذه الكتب التي ذكرها ليست مقصورة على ذكر « وفيات » فقط ؛ أما فيما يتعلق بكتاب الصفدى فواضح بما عرفناه من حديث كشف الظنون عنه ؛ وأما فيما يتعلق بالكتب الباقية فلائها تذييل لوفيات الأعيان ، فتكون على طريقته ؛ وقد عرفنا من قبل طريقة ابن خلكان في الترجمة والتاريخ .

فلنواصل البحث إذن في فهرس الدار ، علنا نجد ذلك الكتاب الذي سمع به ذلك الزميل ... ! هاأنذا أجد أخيراً كتاباً اسمه « الوفيات » لمن يسمى تقى الدين محمد بن هجرس بن رافع المولود سنة ٧٠٤ هـ ؛ فقله الكتاب المنشود ، وللى أفوز بمد طول العناء بالمقصود ...

طلبت الكتاب للاطلاع عليه في قاعة المطالعة بالدار (وهو مخطوط) فلم أوفق لتحقيق ذلك ، لأن المشرفين على دار الكتب في هذا الميدان لا يحسنون معاملة المطالعين ، فتارة يقال لى : وضغ الجزء المطلوب ! . وتارة يقال لى : إن الكتاب لدى حضرات موظفى الدار ! . وتارة يقال لى إن الكتاب فى الخارج ... ! وأخيراً قيل لى بمد أن استمنت بموظف فى الدار : إنه موجود فى القارة ... !

فلم أجد أمى إلا أن أعود إلى الفهرس المفصل المطبوع ، على أجد فيه تلخيصاً لطريقة الكتاب ؛ وفملا وجدت هذا التلخيص ، وقد جاء فيه ، تحت عنوان : « الوفيات » برقم (١٣٦م) ما يلى : « تأليف تقى الدين محمد بن هجرس بن رافع ، المولود فى شهر ذى القعدة سنة ٧٠٤ هـ ، المتوفى فى اليوم الثانى عشر من شهر جمادى الأولى ، وقيل فى اليوم الرابع عشر من جمادى الآخرة من السنة المتقدمة (٤) (١) بدمشق ؛ وهو ذيل على تاريخ الحافظ

(١) هكذا فى الأصل ، ولم تسبق سنة الوفاة ، وإنما السابقة سنة الميلاد ، ولله هو .

أبى محمد القاسم بن محمد بن يوسف الملقب علم الدين البرزالى الشافىي دمشق المولود فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٦٥ هـ فى العشر الأخيرة من ذى القعدة ، أو فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة سنة ٧٣٩ هـ حينما كان محرماً بالحج ... انتهى البرزالى فى تاريخه إلى آخر سنة ٧٣٦ هـ وابتدا المؤلف ذيله من سنة ٧٣٧ وانتهى فيه إلى سنة ٧٧٣ هـ ، وفى آخره ترجمة الفيروزابادى وترجمة تبريما ، نقلنا عن المورد الصافى ، لابن تترى بردى ؛ نسخة من مجلد ، مخطوطة ، بقلم معتاد ، منقولة من خط الحافظ الشهير بابن ناصر الدين ، وقوبلت عليه « ... !

إذن ليس هذا الكتاب أيضاً مقصوراً على ذكر الوفيات ، بل فيه تراجم وتواريخ ؛ وقد وقفت فهرس الدار التى بين يدى عند هذا الحد ، فأين إذن ذلك الكتاب الذى سمع به ذلك الصديق ، والذي يؤكد وجوده ويقول إنه لم يذكر فيه إلا وفيات الأعيان من الرجال ؟ ... « وفوق كل ذى علم علم » ؛ ولذلك رأيت أن أكتب هذه الكلمة على صفحات الرسالة الفراء عله يوجد بين قرائها من يعرف شيئاً عن هذا الكتاب المنشود ، فينبئنا بخبره ، ويقص علينا طرفاً من أسره ، والحقيقة بنت البحث .

أحمد السرباصى

الدرس بالأزهر الشريف

جامعة قزاق الأولى

كلية الآداب

ترغب كلية الآداب فى شغل كبرىي الفنون الإسلامية الخالى بها . وتقدم الطالبات بإسم حضرة صاحب المزة عميد كلية الآداب فى صيماد لا يتجاوز ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٦ . مع بيان المؤهلات الدراسية للرشح والتؤلفات والأبحاث العلمية التى نشرها ويكون التقييم بمقد لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات وبماهى لا تتجاوز ٩٦٠ جنيه فى السنة .

٥٨٤٩